

اما الفوائد التي ستجني من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل فرى الملح الى الجوف فينتفع بمائها من المياه المعطلة ويمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام . وتدمر هي المعروفة بتاريخها المجيد . ويتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب . ولعل هذا المبحث لا يصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم اساساً راسخاً في الاصلاح لا يمكن احد من نقض عروته ويعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد . ويشترط هذا الجرح النفاذ بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بشروط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة ظننها به في هذه المهمة فيصبح جبلهم منتاب المصطفين كما اصبحت جبل لبنان . من قبل نجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل النكاح وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا وبقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره ينابيع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقي بل تروى بما الساء كسائر بلاد حوران وحدث ما نشت ان تحدث عن خصب التربة فان الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاشجار في الايام الا الكرم والتين وبعض السديان والزنان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وفنوت وعيتل في ذروة الجبل اي في اطراف فليب حوران ولم يبق الاشجار معدودات بين قنوت والجبل والله اعلم



اصل الدروز^(١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامية تضم المال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . اما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لم

(١) ملخص من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاساذنا سليم افندي البخاري

من علماء دمشق وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الخاكم بامر الله وكتبه ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن عبيد الله المهدي .
واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن ميمون بن ديسان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبد الله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت وانشأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيون التي تزل اليها الماء بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من ابيه ميمون الحيل واطلمه ابو علي اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سمية من اعمال سورية يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سمية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبد الله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكتبونه وراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلمه العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل واعطاه الاموال والعلامات فدعا له الدعوة .

قال ابن خلدون : ولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بساجماسة بالقبض على عبيد الله لما سار الى المنرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

مامقامي على الهوان وعدي مقول صارم وانف حمي
أبس الذل في بلاد الاعادي وبمصر خليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
 لف عراقي بعرقه سيداك اس جميعاً محمد وعلي
 ان ذلي بذلك الجند عن وأوامي بذلك الربع ربي
 شاهد بصحة نسبهم واما المخضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر بالندح في نسبهم
 وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع .

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع
 وستين وخمسمائة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس
 واقتدى بهم غيرهم وافادت عقائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بشغور الشام
 كالنصيرية والدرزية . والحشيشية نوع منهم .

وكانت احوال الحاكم بامر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم
 وميل الى اهل الصلاح وقتلهم وسخاء ويخل بالقليل . لقب نفسه الحاكم بامر الله ولما
 زاد ظله عن له ان بدعي الالوية اقتداء بفرعون فاخذ يهد لذلك المقدمات فلقب نفسه
 الحاكم بامر الله وامر الخطباء بان يقرؤا بدل البسحلة (بامر الله الحاكم الحجي المميت)
 وصار يدعي علم الغيبات بانفاق اعناده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده
 من دعائه رجلان اعجميان من دعة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي
 وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع
 واربعائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالوية وحسن له كتاباً
 كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقطعة
 من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة
 فبهج الناس على مؤلفه ليقبلوه فقر منهم وسدت شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت
 الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سرّاً الى ير الشام فنزل بوادي النسيم
 بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهمية الحاكم وكان الامراء النخويين الذين
 قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي
 فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدرّوز . وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع الترسنة
 احدى عشرة واربعائة .

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم
 مكانه ودعا بالوهمية الحاكم فاجابه البعض واتخذ عيلاً سرياً لمباداة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين
 وحجة القائم وغير ذلك . وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون التسمية باسمه
 لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزة ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة
 من كتبهم . ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدرور انه خرج في ليلة منفرداً الى
 البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مخفياً عن اعين الناس وكتب حمزة بعد وفاة
 الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم
 اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزور في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم
 وتوحيده وعبادته ويحتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت
 عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردوهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من
 الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل
 الشوف والآخر الى وادي التيم ولم يزلوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدور عادات قديمة توارثوها منها ان لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية
 الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة
 الموروثة فلا يسوغ لاحد مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من
 ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب يده واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق
 الارث عن آبائه واجداده فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة
 والاصول والفروع متساويان فيه فلورثة استحقاق في نفسهم هذا المال .

ومنها ان المرأة لا ترث شيئاً من دار ابائها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاورهم في
 الجبل من بقية الطوائف . وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لم في ذلك اصول
 خاصة ولا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها
 وتطلق المرأة باذى سبب ولا يجوز عندهم رد المألقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين
 بالاسلام ويتزيون بزي اهل والاحرى ان تدل انهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون
 تبعاً له واما في الباطن فانهم يتكبرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل وانهم
 كانوا يسيرون الى توحيد العدم ومانعوا المولى وبشعروا بالطعن على جميع ارباب
 الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحقة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لا يجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ملتزم

و يقرأون القرآن ويؤولونه بنأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وأن الميت حين موته تنقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعبياً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم . وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويؤمنون ان القرآن قد أوحى حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يا بني اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر » هو خطاب سليمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونسأولهم ايضاً ينقسمن قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للمعاقلة جويذة وللجاهلة غير جويذة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت على تمام المعرفة بأسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية وابنا وجد هؤلاء العقال تنبذ هناك معابد العبادة يستمنونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويستمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة انقياء يقال لهم المتنزهون وهم مشايرون تلى العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولم يزد احتياط في التورع حتى انهم لا يذوقون شيئاً من زيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدامهم حتى ولا من طعام حمل كتي دابة مشتركة من مال حاكم لكنهم يستولون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمة يذهبون به الى احد التجار

فيستبدلونه منه وينزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية ويذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لا يعتقدون التناسخ وهو النقص يزعمون انه اذا مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والخن والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف الف سنة « اربعة ملايين » وتسعائة الف سنة فيكون قد مضى من مبداء الخليقة الى دور الحاكم ثلاثمائة الف سنة وثلاثة واربعون الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة وبثبتون اكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة مائة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضمدة في مدة دعوة الناطق السادس واول العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير قالوا وانما كانوا خمسة لاجل لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء في المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) و ينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونهم ويقولون يا قي هو لاء القوم الكرام بالني الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامرهم من ركن البيت اليباني ويهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهو ايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها يستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها واسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فرضة منها عشر مقامات

ربانية وهم العلي والبار وابوزكريا وعلي والعل والتسائم والمتصور والمعز والعزير والحاكم وكلم الله واحد . ومنها اربع نظام الباري بها وهي البيضة والاسم والنطق والفعل فالبيضة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجلس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر عنه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضا وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الامور التي ذكرها معجزات له سيفه كشيم كالسيرة المستقيمة ويجرى الزمان وغيرهما .

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباري وتوحيده عن جميع الخلق والثانية معرفة الامام قائم الزمان وتعيينه عن سائر الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والتابع وان قائم الزمان اولم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونبيه الرابع صون الناس الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة الثبوت من الابدية الثامنة التوحيد للولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعل العائنة التسليم لامره وهي مذكورة في رساله ميشاق النساء ورسالة البلاغ والاية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لم في تقاسم واعراسهم وجائزكم على السنة التي رسمت لم فهذه ثلاثة الرابعة اجيبوا دعوتهم الخامسة اتقوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة يروا ضعفاهم العاشرة انصروهم ولا تخذلوهم وهي في رسالة التذير والتنبية .

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسامي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليّ امره الخامسة واطعنني على مكثون مره فهذه من كلام مخزومة وهي في اوائل رسالة التذير والتنبية

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسائين الثانية حد الجرمايين
الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة
هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستفيضة
واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجبال
ان يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين
بتقديم الوسائل التعطفية مدة لا تقل عن سنتين يلتصق منهم قبيله وادخاله في جماعتهم
واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه على الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره
بتحريم العهد الواجب تحريمه اذ لا يكون موحداً خالصاً بدون تحريم العهد على نفسه
فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريمه هو المسموع تحت
العنوان الآتي :

ميثاق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن
فلان اقراراً اوجب على نفسه واشهد به على روحه في صحة من عقله وبدنه وجواز امره
طائفاً غير مكروه ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات
كلها على اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره
والطاعة هي العبادة وانه لا يشرك في عبادته احداً ماضى او حاضراً او ينتظر وانه قد سلم
روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضى بجميع احكامه
له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله سواء ذلك ام سره ومضى رجوع عن دين
مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه او اشار به الى غيره
او خالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرماً الافادة من جميع الحدود
واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في
الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب
في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكة حمزة بن
علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره
وشدة سلطانه وحده اه